المدينة التعليمية الاستثمارية لتعليم اللغة العربية

د. عبد الحليم كبوط

مقدمة:

تسعى هذه الدراسة لتطوير عملية تعليم اللغة العربية في محيطها وللناطقين بغيرها معا، لدفعها قُدُما والنهوض بها لمسايرة العصر وتطوراته، وذلك بطرحها لبديل تعليمي جديد يعتمد على التوحيد بين عناصر العملية التعليمية في محيط واحد؛ أسمته بالمدينة التعليمية الاستثمارية: La Ville Didactique Investissement / Investment Education City المعتمدة على منهج المقاربة بالكفاءات، لإيمانها بتقديم اللغة كظاهرة كونية. فهي عند الإنسان مهارة كباقي المهارات الأخرى، وليست ملكة فطرية أو سلوكا أو نظاما أو إبداعا فحسب، واكتسابها يتم عن طريق عملية نفسية واجتماعية وفيزيائية وبيولوجية معقدة، تتكامل فيها الروح والنفس والجسم معا، أي العقل والقلب والدماغ واللسان معا.

وهذا الطرح الجديد إيمان بأنّ اللغة العربية: لسانٌ خالدٌ ومشروع استثماري كبير. لا سيما مع تفاقم الأزمات الأمنية وتزايد عدد اللاجئين العرب إلى بلدان أجنبية أخرى. كما أنها: رافد حضاري للشعوب الناطقة بغيرها؛ لأنها وسيلة تواصل وتعارف وطريق للحضارة، وهي اليوم محط أنظار واهتمام كثير من الثقافات الأخرى الشرقية والغربية على غرار الدول الأوربية والآسيوية والأمريكيتين. وقديم كان تعلمها في أوربا مطلب أساسي لأنها كانت الرافد الأوفر حظا لانتشال القارة من عصر الظلمات في القرون الوسطى. والأمر نفسه وقع مع الوفود الصينية والفارسية والأوربية التي دخلت مكة وبغداد ودمشق لتعلمها.

ولا تزال الساحة العربية تدفع الثقافات الأخرى للالتفات دوما نحو اللغة العربية التي لا ينضب معينها، فدول الخليج اليوم تصنع الحدث مع دول شمال إفريقيا في استقطاب أعداد هائلة من الأجانب للدراسة والعمل والسياحة، ما يحثهم على تعلمها، كما تزيد الأحداث في العالم كل يوم جلب الاهتمام لهذه اللغة العريقة، كأحداث شارلي إيبدو Charlie Hebdo والربيع العربي Printemps Arabe والحادي عشر سبتمبر باعتراف الغرب والشرق أنفسهم على شاشات القنوات الإعلامية الفضائية وصفحات التواصل الاجتماعي.

ولذلك فالمؤسسات والهيئات العربية لم تأل جهدا في مواكبة هذا الإقبال على تعلُّم اللغة العربية من طرف الناطقين بغيرها، فسَخَّرت كل ما بوسعها من برامج حكومية ومناهج تربوية وأساليب ووسائلَ تعليمية، فأنشئت المراكز والمعاهد لذلك كدار زايد للثقافة الإسلامية بالإمارات العربية المتحدة، ومعهد اللغة العربية للناطقين بغيرها بالمملكة السعودية، والمركز الوطني للغة العربية بالجزائر، ومعهد الخرطوم الدولي بالسودان، ومعهد علوم اللغة العربية والأكاديمية العربية ومركز الديوان وكلها بالقاهرة المصرية.

كما أنّ المؤلفين وضعوا عدة كتب قيمة في هذا المجال منها: "تعليم العربية للناطقين بغيرها" ستة أجزاء لأساتذة من جامعة أم القرى، وكتاب "أحب العربية" أربعة أجزاء من مكتب التربية العربي لدول الخليج. وكتاب "تعلّموا العربية " و"الميسَّر في تعليم اللغة العربية لأبناء الجالية الإسلامية في المهجر" من عزيز الحسيني وعبد الله بناني، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة وكتاب "تعليم الأجانب اللغة العربية" من معهد تعليم الأجانب اللغة العربيَّة بدمشق. وكتاب "تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في ضوء المناهج الحديثة" لمختار الطاهر حسين. و"تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها: مناهجه وأساليبه" رشدي أحمد طعيمة. وكتاب "العربية بين يديك" ثلاثة أجزاء للطالب، وثلاثة أجزاء للمدرِّسين من طرف عبد الرحمن بن

إبراهيم الفوزان ومختار الطاهر حسين ومحمد عبد الخالق، طبعة العربيَّة للجميع، مؤسَّسة الوقف الإسلامي. وغيرها من الكتب العربية الكثيرة. كما توجد كتب ومداخلات وطرق تعليمية أجنبية منها:

- Arabic Language Skills For Non Arabs، Mohammed Mohyuddin Ahmed and Ferdows Ahmed Jad.
- A New Approach for Arabic Language، Karin C. Ryding .
- Teaching Arabic Language، Ismail Hassan.
- About Choosing Methods of Teaching the Arabic Language، Mohammed Al Ammari.

بالإضافة لكثير من المجلات والدوريات والمقالات والملتقيات والمؤتمرات التي نرجو الله لها النجاح والتوفيق لبلوغ مرادها وتحقيق أهدافها السامية.

وسعيا منا ـ بحول الله تعالى ـ للمساهمة في توصيف حالة الحقل وعرض مقترحات منهجية لتجديده وتطويره اخترت المساهمة في محاور ندوة اللغة العربية للناطقين بغيرها في موضوعين هما: الاستثمار في اللغة العربية للناطقين بغيرها ومناهج تعليمها. لأنني تطرّقت لبعض المناهج والطرق والأساليب والوسائل والاتجاهات الحديثة في تعليم اللغة العربية في محيط وظيفي يعتمد على الممارسة والتطبيق ويساهم في استثمار كل الطرق الحضارية المعرفية الثقافية والمدنية العمرانية، فالمدينة التعليمية محيط دراسي تربوي وثقافي فكري، واقتصادي استثماري وإبداعي إنتاجي، ورياضي ترفيهي... فهي مساحة للتبادل الثقافي والتلاقح الحضاري والتعايش السلمي والتعارف الإنساني الذي حث عليه البارئ سبحانه وتعالى باللسان العربي المبين.

المبحث الأول: المدينة التعليمية الاستثمارية رؤى وآفاق.

انطلاقا من عناصر العملية التعليمية من معلم ومتعلم وطريقة وأسلوب ومنهج وبرنامج ووسائل تعليمية، وبعيدا عن محيط التنظير والتأصيل الممل تحاول المدينة التعليمية الاعتماد على المقاربة التوحيدية التي تضع أسلوبا جديدا لتدريس وتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، ففي جانبها التطبيقي تفضل الاستفادة من مجموع الظواهر والنظريات أو أكثرها فتعتمد على أكثر من منهج أو طريقة أو أسلوب أو نظرية للوصول لهدف أو تحقيق كفاءة مرجوة.

وترى أنه من الأحسن على المعلِّم إتقان أكثر من منهجه والاطلاع على أكثر من مدرسته التي يدافع عنها فيستحسن له الموسوعية، وعدم التخصص المحدود الأبعاد الضيق إلا للضرورة القصوى، فلا يقصي المناهج التي يخالفها ولا يعاديها لأن الأمر فيه سعة والعلوم الدنيوية ليست دينا سماويا منزلا من عند الله تعالى حتى لا نحابي فيه أحدا إنما هي اجتهادات بشرية وعصارة فكر ونتيجة عقل يصيب ويخطئ.

كما أنها تركز في عملية تدريسها للغة على المهارات اللغوية المختلفة دون استثناء أو إلغاء أو تهميش أو إهمال فمهارة الاستماع لا تقل مكانة عن مهارتي القراءة والكتابة وكذلك المحادثة والإبداع، فهي كلها تشكل دعائم المهارة اللغوية والملكة اللسانية، ومن الجيد تدريسها متزامنة فيشاهد المتعلم موضوع المعرفة ويسمعه ويقرأه فيفهمه ويكتبه ليرسخه ويبدع فيه، فيلقي السمع وهو يشاهد الصورة الحسية ويكتبها لترسيخها وتعلمها ثم ليبدع فيها، ولا نؤخر إحداها على الأخرى كما ذهب بعضهم مثلما هو حاصل في كتاب تعليم اللغة العربية لجامعة أم القرى١.

وانطلاقا من مبدئها هذا فقد استفادت المدينة التعليمية ومقاربتها التوحيدية من مجموع النظريات والمناهج القديمة والحديثة العربية منها والغربية التي عندما اعتَمَدت على المناهج التكاملية بين العلوم وضعت أجود المناهج التعليمية التي من بينها منهج المقاربة بالكفاءات.

أولا: اقتراح المقاربة التوحيدية للمدينة التعليمية كبديل تربوي ومحيط تعليمي جديد.

لم يكن اقتراح هذا المحيط التعليمي البديل اعتباطيا بل جاء محاولةً لمساندةِ الطرق التعليمية الأخرى كالمدرسة التي